

"الذكريات"

رمضان شهر الذكريات الإسلامية العالية لا شك ، وكأنما ادخر الله لهذا الشهر أن تكون فيه كل الحوادث التي دعمت دعوة الإسلام ، وطارت بها في الخافقين ، ففي شهر رمضان أنزل القرآن .

ومعنى نزول القرآن الكريم أن السماء قد طالعت الأرض بمبادئ النهضة الجديدة والتطور الجديد ، ونظام الحياة السعيدة ، الذي يقوم على الرحمة والعدل معاً ، والحق والقوة معاً ، والروحية والمادية معاً ، والربانية والإنسانية جميعاً ، والفردية والجمعية كلاهما ، فالفرد للجماعة والجماعة للفرد ، والكل لله الواحد القهار.

وفي رمضان كانت غزوة بدر ، وغزوة بدر هي الامتحان العملي الأول للجماعة الإسلامية الناشئة التي لها في إيمانها القوى ، وإحائها الثابت الموطد وقدرتها على الكفاح والجلاد ، واحتمالها لمعاني المشقة والجهاد ، فلما نجحت الحملة نجاحاً منقطع النظير يتمثل في قوله سعد بن معاذ رضي الله عنه : " يا رسول الله ، آمنا بك وصدقنا ، وأما بأن الذي جئت به هو الحق من ربك ، فنحن سلم لمن سالمت ، حرب على من حاربت ، لو خضت بنا البحر لخضناه معك ، ولو ذهبت إلى أقصى الأرض لذهبنا وراءك ما تخلف منا رجل واحد ، وإنا نصابر في الحرب صدق عند اللقاء ، فامض لما أمرك الله ، وسيريك الله منا ما تقر به عينك "

وكان الرجل جاداً فيما يقول ، يعنى كلامه كلمة كلمة ، ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو الصدق كل الصدق ، فلما نجحوا هذا النجاح المنقطع النظير كإفهام الله بنصر منقطع النظير كذلك : " ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلمكم تشكرون " (آل عمران : ١٢٣)

وفي رمضان كانت غزوة الفتح كذلك.

والذي يتذكر كيف خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً ، قد ترك أهله وبلده ووطنه يودع مكة وداع المحب الوامق (المتودد) فيقول : " يا مكة ، والله يا مكة لأنت أحب بلاد الله إلى الله ، وإنك لأحب البلاد إلى ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت ، " . ثم يتعسف بعد ذلك الطرق ، ويغشى المفاوز والغيران ليس مع بعد ربه إلا صاحبه ، حتى أشرف على المدينة ، دار الأمن والطمأنينة.

ثم يتذكر كيف عاد بعد ذلك إلى مكة فاتحاً في جيش لجب من المؤمنين الصادقين ، يأسر أبا سفيان وينادي مناديه في الناس : " من دخل الحرم فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن " ويجمع إليه قومه من قريش جميعاً فيخاطبهم جهرة ، وهم الذين آذوه أشد الإيذاء : " يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ " فيقولون : " خيراً ، أخر كريم وابن أخر كريم " ، فيقول : " اذهبوا فأنتم الطلقاء. "

ثم يلتفت إلى الكعبة المشرفة وعليها الأصنام تعبد من دون الله ، فينكسها جميعاً بعود في يده وهو يقول : " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً " (الإسراء : ٨١) ، ويعلم بذلك الإيمان والطمأنينة والسلام في يوم واحد.

من تذكر هاتين الصورتين ووازن بينهما علم أن فتح مكة كان فتحاً عظيماً استقرت به دعوة الإسلام في الجزيرة المباركة ، وتهيأت لتتشر وتشرق على ما سواها من البقاع.

وفي رمضان اليوم:

تشغل قضايا العالم العربي والإسلامي كل قلب وكل نفس ، من المحيط الهادي إلى الدار البيضاء ، لقضية إندونيسيا وقضية باكستان وقضية فلسطين وقضية اليمن والجزيرة العربية وقضية وادي النيل وليبيا وقضية المغرب العربي..

كل هذه القضايا تحتل كل نفس وتشغل كل بال وتدور مع كل خاطر ، ويعرض الكثير منها على الهيئات الدولية فتتذكر قول الفرزدق رحمه الله ورحم أيامه:

فبيننا نسوس الناس والأمر *** أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

ولكن لا بأس فالدنيا دول ، وتلك الأيام نداولها بين الناس.

فيا أيها العرب والمسلمون ، وأنتم آلاف في رمضان شهر الذكريات ، راجعوا صفحات هذا التراث المجيد وأعدوا أنفسكم من جديد لتخطوا في كتاب الوجود صفحات أخرى كالتى خطها آباؤكم من قبل في سبيل الحق والمجد والسلام ، والله معكم.

جريدة الإخوان المسلمين - السنة الثانية - العدد ٣٩٠ ص ١ - ٢١ رمضان ١٣٦٦ هـ -
٨ أغسطس ١٩٤٧